مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (34) العدد (5)2012
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (34) No. (5) 2013

"الإحالة الإشارية في نصوص البخلاء للجاحظ"

الدكتور مالك يحيا*
الدكتورة سميرة الراهب**
سائر دندش***

(تاريخ الإيداع 25 / 7 / 2012. قبل للنشر في 20 / 11 / 2012)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث ظاهرةً لغويةً نصيّةً، هي الإحالة التي لم تأخذ نصيبها الكافي، ولم تحظَ باستقلال على الرغم من أهميتها في الدرس اللساني، فالإحالة بمفهومها العام يقصد بها وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، ولا بدّ من العودة فيها إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، والإشارة إحدى أدوات هذه الإحالة، وقد خصصت بحثي هذا للحديث عنها لتبيين الأثر الذي تتركه الإحالة الإشارية في تحقيق الاختزال بتجنّب تكرار المشار إليه، وأثر ذلك في تحقيق التماسك والترابط بين أجزاء النص.

واخترت كتاب البخلاء للجاحظ مجالاً للبحث؛ لأنه يتناول البخلاء في حيلهم وطبقاتهم وأجناسهم، فتوزّعت فيه الإحالات الإشارية داخل النسيج النصي للقصص والرسائل والنوادر، وهذا ما جعل نصوص البخلاء للجاحظ أكثر مناسبةً لدراسة التماسك النّصي.

الكلمات المفتاحية: إحالة بعدية، إحالة قبلية، التماسك النّصي.

* أستاذ مساعد– قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
** مدرّسة متفرّغة – قسم اللغة العربية كلية الآداب والعوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
*** طالب دراسات عليا (دكتوراه) – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (34) العدد (5)2012
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (34) No. (5) 2013

The Indicating Referral in The Jahez's (Al BokhalaA)

Dr. Malek Yehya*
Dr. Samerah Al Raheb**
Saer Dandash***

(Received 25 / 7 / 2012. Accepted 20 / 11 / 2012)

□ ABSTRACT □

This research deals with a textual linguistic phenomenon, which is the referral that didn't receive the appropriate appreciation and was never independent (despite its importance) in the lingual lesson. Referral in general is by meaning the existence of linguistic elements that are not independent when it comes to interpretation, and it must resort to what it indicates in order to interpret it. Indication is one of the tools of this referral, and we have dedicated our research to talk about it, to demonstrate the rule that this indicating reference played in accomplishing stenography by the avoidance of repeating what we are indicating, thus leading into coherence and contiguity between the parts of the text.

And we have chosen al Jahez (al Bokhala) as a domain for our research, because its subject matter deals with stinginess and the stingy in all their tricks, classes, and genders, so that the indicating referrals have radiated throughout the fabric of the story and letters and drolleries, which made his text Al Bokhal more suitable for the study of the script coherence.

Key Words: preceding referral, subsequent Referral, external referral.

* **Assistant Professor, Arabic department, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia , Syria**
** **Dedicated Teacher, Arabic Language department, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia, Syria**
*** **Postgraduate Student, Arabic Language Department, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia, Syria**

مقدمة:

يشير مصطلح الإحالة في البحث اللساني إلى مفهومين مختلفين: أولهما تقليدي اتجهت اللسانيات التقليدية ولاسيما البنيوية إلى إبعاده من صميم الدراسة اللسانية العلمية، وهو العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات ([1]). وثانيهما: هو إحالة العناصر اللغوية بعضها إلى بعضٍ داخل نص من النصوص، لتشكّل عالماً نصيّاً؛ وهو ما سنرصده في بحثنا هذا من خلال نصوص البخلاء عند الجاحظ ،والإحالة على هذا "هي العلاقة بين العبارات والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص"([2]).

فالإحالة علاقة معنوية بين متكلم ومخاطب، يهدف المتكلم من ورائها إلى تحفيز ذهن المخاطب عن طريق كلمات مبهمة الدلالة (كأسماء الإشارة)، يتوقف تفسيرها على كلمات أخرى تقدّمت أو سيأتي ذكرها، يُسمّى طرفاها العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، وفيها يشير المتكلم إلى أن موقفاً أو شيئاً أو شخصاً أو لفظاً أو عبارة ما ارتبطت بشيء آخر خارج النص أو داخله، في سياق لغوي أو غير لغوي، والقصد بذلك تحقيق الاقتصاد في اللفظ، وربط الكلام بعضه ببعض بما يحقق الاستمرارية والتماسك بين أجزاء النص الواحد.

وللإحالة نوعان داخلية تنقسم إلى قبلية وبعدية،وخارجية؛أما الإحالة الداخلية القبلية: "فهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة"([3]).نحو قول الجاحظ:"سكر زبيدة ليلةً، فكسا صديقاً له قميصاً، فلمّا صار القميص على النديم خاف البدَوَات([4]) وعلم أنّ ذلك من هفوات السكر"([5]).

فهنا أحال اسم الإشارة(ذلك) إحالة داخلية قبليّة إلى الاسم الذي قبله وهو (البدوات)، فاختصره، وحقق ربط الكلام بعضه ببعض،فالإحالة الداخلية القبلية تعني إحالة عنصر لساني في الملفوظ إلى عنصر إشاري سبق التّلفظ به، سابقاً عليها، فتعوّضه وتختصره وتتجه إليه بالإحالة فترتبط به شكلاً ودلالةً.

وأما الإحالة الداخلية البعدية فهي "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة"([6]).نحو قول الجاحظ:"إنّ هذا المال لم أجمعه من القصص والتّكدية"([7]).

وهنا أحال اسم الإشارة(هذا)إحالة داخلية بعدية إلى الاسم الذي يليه وهو(المال)،فأكّده،وخلق عند القارئ تشويقاً لتوقّعه، وهنا العنصر الإشاري يذكر بعد العنصر الإحالي،ويأتي لاحقاً عليه.

وأما الإحالة الخارجية فهي علاقة بين النص أو بعض عناصره وبين السياق الخارجي، وهذا يوجّه إلى أن النص يُفسّر بإشارات ومعانٍ قائمة بالخارج، وتعدّ هذه الإشارات منه بمنزلة الأسباب التي أوجدته؛ لذا إذا فُهمت هذه

---

(1)– حمو الحاج، ذهبية. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب. د. ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005 م، ص92.

(2)– دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء. ترجمة: د. تمام حسّان. ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ص320.

(3)– إبراهيم الفقي، صبحي. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. دراسة تطبيقية على السور المكيّة. ط1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000 م، ج1، ص39.

(4)– أي خشي تغيير رأيه.

(5)– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء. قدّم له وحققه: الشيخ محمد سويد– راجعه مصطفى قصّاص. د.ط، دار إحياء العلوم، بيروت، د.ت،ص66.

(6)– إبراهيم الفقي، صبحي. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،ج1/40.

(7)– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء.ص80.

الأسباب الخارجية زال إشكال الإبهام فيحصل فهم دلالة النص بوساطة هذه الإحالة الخارجية. "فالإحالة إلى الخارج تتطلب من المستمع أن يلتفت خارج النص حتى يتعرف الشيء المحال إليه"([1]).

والجاحظ واحدٌ من أكبر ناثري العربية، وأغزرهم إنتاجاً، ويعدّ كتاب البخلاء للجاحظ أحد الكتب التراثية المهمة، التي استطاعت أن تجسّد عصر الجاحظ بكل حيويته، فاخترت هذا الكتاب بنصوصه بساطاً للبحث ومجالاً للدراسة لقيمته التي لا تقتصر على كونه وثيقة أدبية تلقي الضوء على طبيعة الفكر العربي فحسب،بل لتوفّره على جملة من القيم الفنية والجمالية التي تميّز نصوص الجاحظ من غيرها من النصوص النثرية العربية.

أهمية البحث وأهدافه:

اخترت الإحالة الإشارية لأنها أبرز أداة تسهم في عملية تماسك النصوص وانسجامها على مستوى الكلمات والجمل، وكذلك فإن الإحالة الإشارية من أكثر الظواهر اللغوية انتشاراً في النصوص، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نص، فهي تتحكم بمسار الرسالة المبثوثة من قبل المرسل مجبرةً المتلقي على التنقل في فضاء النص المدروس، فهي من أهم معطيات النص التي تسهم في نصيّته وكفاءته.

ويعدّ هذا البحث محاولة في تطبيق النظريات اللسانية الحديثة على النص النثري التراثي، إذ إن أهمية هذه الدراسة تأتي من القيام على رصد ظاهرة لغوية نصيّة، وتبيين آثارها في حدود النص التراثي.

منهجية البحث:

إنّ اعتمادي في الدرجة الأولى على التحليل في تتبع عناصر الإحالة الإشارية داخل النصوص يجعلني أنهج المنهج الوصفي التحليلي؛الذي يهتم بدراسة بنية اللغة في مختلف مستوياتها، كما إن تتبعي لآليات الإحالة الإشارية الخارجية في النصوص قادني إلى إشراك المنهج التداولي الذي يهتم بجملة العناصر المكونة للموقف الكلامي (السياق)، أي: يربط النص بالمتكلم والمخاطب، وبالوظائف الداخلية والخارجية؛ وهذه الوظائف تسند وفقاً لسياق الكلام إلى كلمات الجملة، وكذلك يبحث المنهج التداولي في الدلالة، وفي وسائل الربط الدلالي، وفحوى الخطاب وهو ما تقتضيه طبيعة دراستي في بحثي هذا.

الإحالة بأسماء الإشارة:

يقول ابن يعيش: و"اعلم أنّ ها كلمة تنبيه وهي على حرفين كـ (لا وما)، فإذا أرادوا تعظيم الأمر والمبالغة في إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة، وقالوا: هذا وهذه... فها للتنبيه وذا للإشارة، والمراد: تنبّه أيها المخاطب لمن أشير إليه، وتسقط ألفه في الخط لكثرة الاستعمال، وهي ثابتة لفظاً"([2]).

وتتكون الكلمة المركبّة (ذلك) من ثلاثة أجزاء: "ذا" وهو اسم الإشارة، و"اللام" وهو حرف البعد، و"الكاف" وهي حرف المخاطب، ويلفت الجزء الأخير من الكلمة (وهو حرف الخطاب) الانتباه؛ لأنه سمة من سمات العربية، إذ ليس

(1)- براون، جوليان؛ يول، جورج. تحليل الخطاب. ترجمة: د. محمد لطفي الزليطي- د. منير التريكي. د. ط، جامعة الملك سعود، 1997م، ص238.

(2)- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. شرح المفصل. د. ط، إدارة المطبعة المنيرية، د. ت، 3/137.

له صلة مباشرة بالإشارة، وإنما أُتي به لتحديد نوع المخاطب من حيث الجنس والعدد، يقول الزمخشري: "ويتصرّف (أي الكاف) مع المخاطب في أحواله من التذكير والتأنيث والتثنية والجمع"([1]).

وفيما يلي أمثلة من نصوص البخلاء للجاحظ، يتوضّح من خلالها أن (ذا) وما تفرع عنها سيختلف باختلاف جنس المشار إليه وعدده وأن (ك) سيختلف باختلاف جنس المخاطب وعدده:

"إنّكم تنغصون عليه تلك الشربة"([2]).

المرجع مفرد مؤنث، والمخاطب جمع مذكر

"كيف رأيت يا أبا عمران تلك الدجاجة"([3]).

المرجع مفرد مؤنث، والمخاطب مفرد مذكر.

"فهما في ذلك اليوم أودعُ أبداناً وأحسن حالاً"([4]).

المرجع مفرد مذكر، والمخاطب مثنى مذكر

وذهب بعضهم إلى التوسّع في دلالة (الكاف)هذه على الجنس والعدد، وجعلها في ثلاث لغات "الأولى أن تختلف لاختلاف أحوال المخاطب في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع،كالكاف التي هي ضمير المخاطب، وهذه اللغة الفصيحة، والثانية أن تُفرد مفتوحة في الأحوال كلها، فلم يقصد بها على هذه اللغة إلا التنبيه على مطلق الخطاب لا على أحوال الخطاب، والثالثة أن تُفرد مفتوحة في التذكير ومكسورة في التأنيث، فلها على هذه حالان فقط"([5]).

والبنية الإحالية الإشارية في أيّ نصٍ منجز تتصل بمستواه الدلالي اتصالاً وثيقاً لأنها تفتح المجال للقراءة والتأويل في إطار سياق أو مرجعية تتحكّم في التأويل وتحديد المعنى المقصود من بين المعاني المحتملة،وأهمية الإحالة الإشارية لا تتوقّف في كونها نائبة أو معوّضة عن الأسماء أو الأفعال أو العبارات،بل يقتضي وجودها ربط الكلام بعضه ببعض"فهي تقوم بدور بارز في إنشاء التماسك الدلالي للنّص،إذ إن شيوع ورود صيغ الإحالة الممكن تحديدها في كل نص تبرز أنّ الإحالة تشغل ضمن العناصر المؤثرة في تماسك النّص مكاناً بارزاً،ويكون بحثها من خلال نحو النّص لتقديم القواعد التي يجب أن تفي بقيود ما يسمّى بالنّصيّة"([6]) "إذ إنّ الملفوظ نصاً يكتمل عندما تترابط أجزاؤه باعتماد الروابط الإحالية،وهذه الروابط تختلف من حيث مداها ومجالها،فبعضها يقف عند حدود الجملة الواحدة،يربط عناصرها الواحد منها الآخر،وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النّص،فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي، ولكن الواحد منها متصل بما يناسبه أشدّ الاتصال،من حيث الدلالة والمعنى"([7])."فالإحالة علاقة دلالية ،ومن ثمّ لا تخضع لقيود نحويّة،إلا أنها تخضع لقيدٍ دلاليّ، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"([8]) و"الإحالة كعنصر من عناصر السبك النحوي

---

(1)- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. المفصّل في علم العربية. ويذيله كتاب المفضّل في شرح أبيات المفصّل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النصاني الحلبي. ط٢، دار الجيل، د. ت، ص141.

(2)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء. ص196.

(3)- المصدر نفسه، ص207.

(4)- المصدر نفسه، ص212.

(5)- المرادي، الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: د. فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل. ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص91.

(6)- بحيري، سعيد حسن. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة. ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م،ص107.

(7)- الزّناد،الأزهر.نسيج النّص.بحث في ما يكون الملفوظ به نصاً.ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت، الدار البيضاء،1993م،ص124.

(8)- خطابي، محمد. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت،الدار البيضاء، 1991م،ص17

النحوي يرتبط بشكل أشدّ وضوحاً من غيره من العناصر بالبناء اللغوي التلقائي للمعاني الذي يحمل غرضاً أساسياً،وهو تقديم جمل مترابطة ومتوازنة لا انقطاع فيها"([1]).

ولا يتوقف أثر الإحالة الإشارية على ربط الكلام بعضه ببعض،وتحقيق التماسك بين أجزائه من حيث الدلالة والمعنى، بل يتعدى ذلك إلى تحقيق الاختزال والاختصار النّصي عبر تجنب تكرار المشار إليه. "فهي تقوم بوظيفة تعويض الأسماء وتتخذ محتوى مما يشير إليه"([2]).وهذا ما أسهم في ربط أجزاء النص بعضها ببعض وتماسكها. وبالتالي فإن وظيفتها "التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه"([3]).فالمبدأ العام الثاوي خلف الإشارة هو جعل الخطاب متماسكاً من خلال استحضار عنصر متقدم أو خطاب بأكمله"([4]). وتعني الإحالة الداخلية في أدبيات الدراسة النّصيّة الحديثة العلاقات الإحالية داخل النّص بحيث ترتبط العناصر الإحالية بالعناصر الإشارية النّصية أثناء تسييقها في التركيب اللغوي، وبذلك فهي"إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ،سابقة أو لاحقة؛فهي نصيّة"([5]) نصيّة"([5]) .وتعدّ الإحالة من أهم المعايير النصيّة عند علماء لغة النص؛فهي عنصر جوهري في تشكيل النص وتفسيره،وإذا أصبح الكلام خالياً من الإحالة أصبح غير واضح وتعلق به الغموض .وهو ما سأوضّحه من خلال الأمثلة اللاحقة.

وكما ذكرت سابقاً تنقسم الإحالة الإشارية إلى إحالة إشارية بعدية، وإحالة إشارية قبلية على المستوى الداخلي للنص، فالإحالة في الأمثلة السالفة الذكر من كتاب البخلاء، جميعها إحالة إشارية داخلية بعدية وهي:

"إنّكم تنغصون عليه تلك الشربة"([6]).

"كيف رأيت يا أبا عمران تلك الدجاجة"([7]).

أحال هنا اسم الإشارة (تلك، ذلك) إلى الاسم الذي يليه، وهو (الشربة، الدجاجة)إحالة داخلية بعدية، فأكّده ،وبعث في نفس القارئ تشويقاً لتوقّعه.ومن أمثلة الإحالة الإشارية الداخلية البعدية أيضاً قول الجاحظ:

"فإن وجد قيّم ذلك البستان رمى إليه بدرهم"([8]).

فهنا أحال اسم الإشارة (ذلك) إحالة داخلية بعدية إلى الاسم الذي بعده(البستان)،فأكّده، وبعث تشويقاً في نفس القارئ لتوقّعه. ومن أمثلة الإحالة الإشارية الداخلية القبلية في نصوص البخلاء قول الجاحظ: "اعلم أنه إذا كان في الطعام شيء طريف، ولقمة كريمة، ومضغة شهية، فإنما ذلك للشيخ"([9]).

---

(1)- فرج، حسام أحمد. نظرية علم النص.رؤية منهجية في بناء النص النثري. تقديم الأستاذ الدكتور سليمان العطار والأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي. ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م،ص85.

(2)- الزناد، الأزهر. نسيج النص. بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً. ص116.

(3)- المرجع نفسه، ص116.

(4)- خطابي، محمد. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب، ص177.

(5)- الزناد، الأزهر. نسيج النص. بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً ،ص118

(6)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء. ص196.

(7)- المصدر نفسه، ص207.

(8)- المصدر نفسه،ص50.

(9)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء ،. ص169.

فقد أحال اسم الإشارة (ذلك) إحالة داخلية قبلية إلى الطعام السابق،فاختصره، وعوّضه، وربط الكلام بعضه ببعض،وعزّز المعنى؛فلو أعدنا ذكر الطعام السابق عوضاً عن اسم الإشارة ،لأصبحت العبارة غير واضحة واكتنفها الغموض.

ومن الإحالة الإشارية القبلية قول الجاحظ: "وأنا لست أطعم الجزر المسلوق بالخلّ والزيت والمرّي دون الكمأة بالزبد والفلفل لمكان الرخص، أو لموضع الاستفضال، ولكان لمكان طيبه في الحقيقة؛ لأنه صالح للطبيعة، علم ذلك من علم، وجهل ذلك من جهل"([1]).

أيضاً أحال اسم الإشارة (ذلك) هنا إحالة داخلية قبلية إلى عبارة سابقة، وهي (لمكان طيبه في الحقيقة) فاختصرها، وعوّضها، محققاً الربط والتماسك بين أجزاء النص.

وتمتاز (ذا) و(هذا) و(ذلك) من بين أسماء الإشارة، بالإحالة إلى قطعة من النص، أو لفحوى النص الذي سبق. "فاسم الإشارة المفرد يتميز بالإحالة الموسعة، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل"([2]).

ومثال ذلك قول الجاحظ: "أي بنيّ قد بلغت تسعين عاماً، ما نغض لي سنٌّ، ولا تحرّك لي عظمٌ، ولا انتشر لي عصبٌ، ولا عرفتُ دنين أذن ولا سيلان عين ولا سلس بول. ما لذلك علّة إلا التخفيف من الزاد"([3]).

هنا أحال اسم الإشارة (ذلك) إحالة داخلية قبلية إلى مضمون الكلام السابق،فعوّضه،وأكّده،وعزّز معناه. ومن ذلك أيضاً قول الجاحظ:

"وقد فعل عَمرو من جهة التأديب أكثر من ذلك حين دُعي إلى عُرسٍ، فرأى قدراً صفراء وأخرى حمراء، وواحدةً مُرّة وأخرى حلوة، وواحدة محمضة، فكدّرها كلّها في قدر عظيمة وقال: إنّ العرب إذا أكلت هذا قتل بعضها بعضاً"([4]).

أحال هنا اسم الإشارة (هذا) إلى مضمون الفقرة السابقة إحالة داخلية قبلية،فعوّضها،واختصرها،وحقق التماسك بين أجزاء النّص.

وكذلك رأيت احتشاد الإحالات الإشارية بكثافة في القصص التي عرضها الجاحظ على نحو خاص،ومن هنا كان لها أبلغ الأثر في خلق الترابط والتماسك بين جزئيات وفقرات النّص القصصي،ومن ذلك قول الجاحظ في قصة أحمد بن خلف: "...فقلت له: وقد ورث هذا المال كله: ما بطّأ بك الليلة؟ قال: لا والله إلا أني تعشيت البارحة في البيت، فقلت لأصحابنا: لولا أنه بعيد العهد بالأكل في بيته، وأن ذلك غريب منه،لما احتاج إلى هذا الاستثناء،وإلى هذه الشريطة، وأين يتعشى الناس إلا في منازلهم؟ وإنما يقول الرجل عند مثل هذه المسألة: لا والله إلا أن فلاناً حبسني، ولا والله إلا أن فلاناً عزم عليّ،فأما ما يستثنى ويشترط، فهذا ما لا يكون إلا على ما ذكرناه قبل"([5]).

لاحظت في هذا الجزء المقطوع من القصة كيف احتشدت الإحالات الإشارية بكثافة مثل (هذا،ذلك، هذا، هذه، هذه، هذا) اعتماداً على الجمل الفعلية ووجود الإحالات الإشارية في القصة يؤكد على ترابط القصة، وهو أمر يسهم في تقبّل القارئ للنص، كما أنه يحافظ على استمرار خيط الأحداث دون انقطاع يخل بتتابعها.

---

(1)- المصدر نفسه، ص153.

(2)- خطابي، محمد. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. ، ص19.

(3)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء. ص172.

(4)- المصدر نفسه، ص121.

(5)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء ، ص71.

فالربط الإحالي :هو"الذي يمدّ جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النّص،إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النّص،فتجتمع في كل واحد(من تلك الأجزاء)عناصره متناغمة"([1]).

ومن الملاحظ أن للمتكلم الخيار عادة في استخدام أي من أسماء الإشارة المذكورة، ولكن من الأغراض البلاغية والمقاصد التخاطبية ما يرجح اختيار أحدها على الآخر، فيختار اسم الإشارة الدال على البعد مثلاً إذا كان المتكلم يشير إلى: آ- شيء يعتقد أنه غائب أو بعيد منه زماناً أو مكاناً كما في قول الجاحظ: "يقولون: ثوبك على صاحبك أحسن منه عليك، فما يقولون إن كان أقصر منّي، أليس يتخبّل في قميصي؟ وإن كان طويلاً جداً وأنا قصير جداً فلبسه، أليس يصير آية للسائلين، فمن أسوأ أثراً على صديقه ممّن جعله ضحكة للناس؟ ما ينبغي لي أن أكسوه حتى أعلم أنه فيه مثلي ومتى يتفق هذا وأنّى ذاك محيا وممات؟"([2]).

أجد هنا أن اسم الإشارة الدال على البعد (ذاك) قد أفاد بُعد تحقق ذلك اللباس في حياته وبعد مماته.

ب- شيء مهم، أو ذي قيمة أو مقدس أو محترم، وباختصار فإن المتكلّم هنا ينزل علو مكانة المشار إليه منزلة بعده الحسيّ، ومن ذلك قول الجاحظ: "فعمدت إلى ذلك المتوضّأ"([3]).

"وسيّما ذلك الجنس من الدجاج"([4]).

فأجد هنا أن اسم الإشارة (ذلك) قد أحال إحالة داخلية بعدية إلى شيء محترم وهو المتوضأ. وأحال في العبارة الثانية إلى شيء مهم وهو جنس الدجاج. وقد يختار المتكلم استخدام اسم الإشارة الدال على القرب للتعبير عن التحقير كما في قول الجاحظ: "فهذا ما لا يجوز"([5]).

"هذا مع نتن ريحه وقبح منظره"([6]).

أو يستخدم المتكلم اسم الإشارة الدال على القرب للإشارة إلى قرب الرأي للعقل أو وضوحه فيه لتأكيد صحته، كما في قول الجاحظ: "إنّي قد فكّرت في هذا منذ ستة أشهر"([7]).

"وقد علمنا أنا حين أخرجنا هذا المال من أيدينا أنه معرض للذهاب"([8]).

وأما فيما يخصّ الإحالة الإشارية الخارجية فأورد من نصوص البخلاء مثالاً عليها قول الجاحظ:

"الخصال التي تدعو إلى ذلك كثيرة، وهي قائمة معروفة، من ذلك سرعة امتلاء البالوعة، وما في تنقيتها من شدّة المؤونة"([9]).فهنا أحال اسم الإشارة (ذلك) إلى الشروط التي وضعها الكندي على مستأجري داره. وألمح إليها الكندي في كتاب سابق كتبه إلى مستأجر ولم يذكرها صراحةً، وهذا ما وضح في قوله: "قال معبد: فبينا أنا كذلك، إذ قدم ابن عمّ لي ومعه ابن له، وإذا رقعة منه (أي الكندي) قد جاءتني: إن مقام هذين القادمين ليلة أو ليلتين احتملنا ذلك، وإن كان إطماع السكان في الليلة الواحدة يجرّ علينا الطمع في الليالي الكثيرة. فكتبت إليه (أي معبد) ليس مقامهما عندنا إلا شهراً أو نحوه،فكتب إليّ (الكندي): إنّ دارك بثلاثين درهماً وأنتم ستة، لكل رأس خمسة، فإذا قد زدت

---

(6)- بحيري، سعيد حسن. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة،ص98

(1)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء. ص102.

(2)- المصدر نفسه، ص57.

(3)- المصدر نفسه، ص208.

(4)- المصدر نفسه، ص213.

(5)- المصدر نفسه، ص213.

(6)- المصدر نفسه، ص213.

(7)- الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر. البخلاء ، ص215.

(8)- المصدر نفسه. ص131.

رجلين، فلا بد من زيادة خمستين، فالدار عليك من يومك هذا بأربعين. فكتبت إليه (معبد): وما يضرّك من مقامهما، وثقل أبدانهما على الأرض التي تحمل الجبال، وثقل مؤونتهما عليّ دونك فاكتب إليّ بعذرك لأعرفه"([1]). فجاء هنا جواب الكندي محيلاً من اسم الإشارة(ذلك) الذي ذكّر بالشروط التي فرضها. دون أن يحددّها صراحةً والإحالة هنا خارجية.

وفي العربية اسما إشارة يفيدان الظرفية هما (ثمّ وهنا) يشار إلى المكان القريب بـ (هنا) ويتقدمها هاء التنبيه فيقال (ههنا) ويشار إلى البعيد على رأي المصنف (بهناك وهنالك وهنّا) بفتح الهاء وكسرها مع تشديد النون و(بثمَّ وهِنّت)، وعلى مذهب غيره هناك للمتوسط وما بعده للبعيد"([2]).

وتستخدم أيضاً الإشارة الظرفية للإحالة الداخلية بنوعيها القبلية والبعدية" فالعنصر الإشاري يشمل لفظاً مفرداً دالاً على حدث أو ذات أو موقع ما في الزمان أو المكان جزءاً من الملفوظ، أو الملفوظ كاملاً، فالمشار إليه إذن لازم الورود (سابقاً أو لاحقاً) ليجيز وجود المحيل، ويشكلان معاً بنية الإحالة التي تقابل بينهما بصورة ظاهرة أو ضمنية، يتأسس عليها ترابط النص وتماسكه وانسجامه، ويلاحظ أن الجامع الأساسي في النص هو ذات المتلفظ"([3]).

ومن أمثلة الإحالة الإشارية الظرفية القبلية قول الجاحظ: "واعتبر أيضاً ذلك بالملح الذي يوضع تحت المسرجة، والنخالة التي توضع هناك لتسويتها وتصويبها"([4]).فقد أحالت الإشارة الظرفية (هناك) إحالة داخلية قبلية إلى ما تحت المسرجة، فحققت الاختصار والربط وعزّزت المعنى من خلال تجنب تكرار المشار إليه. ومن الإحالة الإشارية الظرفية البعدية قول الجاحظ: "أنا كاتبه، وصداقتي أقدم، وما ذلك به، وإنّ ههنا أمراً ما نقع عليه"([5]).فأحالت الإشارة الظرفية (ههنا) إحالة داخلية بعدية إلى (الأمر)، فأكّدته ،وخلقت عند القارئ تشويقاً لتوقعه. وقد تستخدم الإشارة الظرفية للإحالة الخارجية كما في قول الجاحظ: "المخطراني: الذي يأتيك في زيّ ناسك، ويريك أنّ بابك* قد قوّر لسانه من أصله لأنه كان مؤذناً هناك"([6]). فالإشارة الظرفية (هناك) أحالت إلى المكان الذي كان يؤذن فيه للصلاة، وهو المسجد القائم في قرية أو بلدة والإحالة هنا خارجية.

ولمعرفة الأثر الذي تركته الإحالة الإشارية في نصوص البخلاء أورد فيما يأتي عرضاً تحليلياً إحصائياً لتواتر استخدام أسماء الإشارة في نصوص البخلاء عند الجاحظ، وتوزعها داخل النسيج النصي للقصص والرسائل والنوادر*مبيناً في الجدول الآتي، وأتبعه بأهم النتائج لهذا التحليل الإحصائي:

---

(9)- المصدر نفسه. 131.

(1)- ابن عقيل. بهاء الدين عبد الله. شرح ابن عقيل على ألفية الإمام أبي عبدالله محمد جمال الدين بن مالك.ط1،مطبعة السعادة،1964م، 136/1.

(2)- بحيري، سعيد حسن. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة. ، ص100.

(3)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء، ص44.

(4)- المصدر نفسه، ص104.

(5)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء ، ص86. وبابك هو بابك الديلمي الخارج على الخليفة العباسي المعتصم.المصدر نفسه،ص86.

**** رأيت تصنيف نصوص البخلاء في الكتاب في ثلاثة أصناف (قصص، نوادر، رسائل). أما الرسائل فثلاثة وهي (رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد، ورسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي، ورسالة ابن التوأم) وأما النوادر: (نوادر أهل خراسان، نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتى،أحاديث البخلاء). وأما القصص فقد رأيت تقسيمها حسب موضوعاتها على النحو الآتي:***

1. ***قصص بخلاء الجمع والمنع وتشمل: (قصة أهل البصرة من المسجدبين، قصة ليلى الناعطية، قصة ابن العقدي).***
2. ***قصص بخلاء اجتماعية وتشمل: (قصة زبيدة بن حميد).***
3. ***قصص البخلاء الظرفاء وتشمل: (قصة أحمد بن خلف).***
4. ***قصص البخلاء المتسولين وتشمل: (حديث خالد بن يزيد)***
5. ***قصص البخلاء النفسية وتشمل: (قصة أبي جعفر الطرسوسي، قصة الحزامي،قصة الكندي).***

التحليل الإحصائي لتواتر استخدام أسماء الإشارة في نصوص البخلاء عند الجاحظ

الإحالة الإشارية في نصوص البخلاء للجاحظ											
	نوع النص	عنوان النص	عدد الإحالات الإشارية	توزع أسماء الإشارة داخل النصوص							
				هذا	هذه	ذلك	أولئك	ذاك	هؤلاء	تلك	هاتين
	رسائل	رسالة سهل ابن هارون إلى محمد بن زياد	18	6	-	12	-	-	-	-	-
		رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي	27	10	2	7	1	2	1	4	-
		رسالة ابن التوأم	69	18	4	39	1	1	3	3	-
		عدد تواتر الإحالة الإشارية في الرسائل	114	34	6	58	2	3	4	7	-
	نوادر	نوادر أهل خراسان	63	37	1	23	-	-	-	2	-
		نوادر البخلاء المغالين (طرائف شتى)	35	16	-	15	-	-	-	4	-
		نوادر البخلاء المغالين (أحاديث البخلاء)	82	41	9	27	1	-	2	2	-
		عدد تواتر الإحالة الإشارية في النوادر	180	94	10	65	1	-	2	8	-
قصص	بخلاء الجمع والمنع	قصة أهل البصرة من المسجديين	31	7	6	15	-	-	-	3	-
		قصة ليلى الناعطية	5	3	1	1	-	-	-	-	-
		قصة ابن العقدي	56	22	5	20	-	-	4	5	-

6- قصص البخلاء النبلاء وتشمل: (قصة الحارثي).

7- قصص البخلاء الشّراه والطفيليين وتشمل: (تفسير كلام أبي فاتك، قصةالأصمعي).

8- قصص البخلاء المحتالين وتشمل: (قصة محمد بن أبي المؤمل).

9- قصص البخلاء الحكماء الواعظين وتشمل: (قصة أسد بن جاني، قصة تمام بن جعفر، قصة أبي سعيد المدائني).

		تواتر الإحالة الإشارية في قصص بخلاء الجمع والمنع	92	32	12	36	.	.	-	4	5	-
	اجتماعية	قصة زبيدة بن حميد	10	6	-	2	.	.	-	2	-	-
	البخلاء الظرفاء	قصة أحمد بن خلف	25	9	5	8	.	.	-	-	3	-
	البخلاء المتسولين	حديث خالد بن يزيد	60	18	4	32	.	.	-	3	2	1
	قصص البخلاء النفسية	قصة أبي جعفر الطرسوسي	1	1	-	-	.	.	-	-	-	-
		قصة الحزامي	53	30	2	21	.	.	-	-	-	-
		قصة الكندي	58	14	4	37	.	.	-	1	2	-
		تواتر الإحالة الإشارية في قصص البخلاء النفسية	112	45	6	58	.	.	-	1	2	-
	البخلاء النبلاء	قصة الحارثي	37	11	1	23	.	.	-	1	1	-
	البخلاء الشرّاء والطفيليين	تفسير كلام أبي فاتك	14	5	1	7	.	.	-	-	1	-
		قصة الأصمعي	34	23	2	6	.	.	-	1	1	-
		تواتر الإحالات الإشارية في قصص البخلاء الطفيليين	48	28	3	13	.	.	-	1	2	-
قصص	البخلاء المحتالين	قصة محمد بن أبي المؤمل	54	14	9	28	.	.	-	1	2	-
	البخلاء الحكماء الواعظين	قصة أسد بن جاني	51	17	5	23	.	.	-	1	4	1
		قصة أبي سعيد المدائني	49	21	2	25	.	.	-	-	1	-
		قصة تمام بن جعفر	12	3	1	7	.	.	-	-	1	-
		تواتر الإحالة الإشارية في قصص البخلاء	112	41	8	55	.	.	-	1	6	1

		الواعظين											
		مجموع الإحالة الإشارية في القصص	550	204	48	255	-	-	14	23	2		

الخاتمة:

من خلال استقرائي للجدول السابق يمكنني استخلاص النتائج الآتية:

1-أكثر عناصر الإحالة الإشارية تواتراً في نصوص البخلاء هو ما دل على البعد (ذلك)، فقد تواتر وروده في النصوص 378 مرةً ما بين الرسائل والنوادر والقصص، ثم جاء العنصر الإحالي الإشاري الدال على القرب (هذا) في الدرجة الثانية، فقد بلغت مرات وروده في النصوص 332 مرة. ولوحظ شيوع العنصر الإشاري الدال على البعد في القصص أولاً، ثم في الرسائل، في حين شاع العنصر الإشاري الدال على القرب في النوادر، وهذا يؤكد لنا قرب عهد الجاحظ بتلك النوادر التي ساقها، ولاسيما أنه خصّها في الفرس وفي البخلاء المغالين، وكأنه أراد أن يقول لنا: إن أهل خراسان، هم أقرب إلى البخل من العرب الذين استخدم في سوق قصصهم العنصر الإشاري الدال على البعد (ذلك) ليؤكد بعدهم عن هذه الصفة الذميمة مقارنةً بالفرس، والذي كان أحد أهداف وضعه لكتاب البخلاء.

2-أكثر الإحالات الإشارية تواتراً في نصوص البخلاء كانت في القصص، فقد بلغت 180 إحالة إشارية، وفي الرسائل 114 إحالة إشارية ، وفي النوادر 180 إحالة إشارية ، وإذا كان التفاوت في الكم بين نصوص الرسائل والنوادر والقصص لا يحسم التواتر الإشاري الإحالي فيها بشكل دقيق، على اعتبار أن القصص في نصوص البخلاء أكثر نسبة من الرسائل والنوادر، قمنا بعقد مقارنة لا على التعيين بين رسالتين من الرسائل مع قصتين من القصص لهما نفس الطول تقريباً، وأجرينا المقارنة الأولى بين رسالة سهل بن هارون* وبين قصة أهل البصرة من المسجديين** .وأجرينا المقارنة الثانية بين رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب إلى الثقفي*** وبين قصة أسد بن جاني**** فوجدنا أن الإحالات الإشارية كانت أكثر تواتراً في القصتين من الرسالتين، ففي القصتين تواتر 82 إحالة إشارية في حين تواتر في الرسالتين 45 إحالة إشارية "ويجب الأخذ في الاعتبار كذلك، أن أدوات السبك تختلف من نص إلى آخر تبعاً لنوع النص، وتبعاً لاختلاف المؤلفين، سواء من حيث عدد الروابط أو نوعها؛ لأن هذه الروابط تلعب دوراً وظيفياً ليس باعتبارها وحدات نحوية تربط بين الجمل بعضها ببعض،بل باعتبارها وحدات وظيفية تلعب دوراً في تكوين النص كوحدة دلالية"([1]).

*** تمتد رسالة سهل بن هارون من الصفحة 29 إلى الصفحة 38 من كتاب البخلاء.**

**** تمتد قصة أهل البصرة من المسجديين من الصفحة 56 إلى الصفحة 63.**

***** تمتد رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب من الصفحة 235إلى الصفحة 256.**

****** تمتد قصة أسد بن جاني من الصفحة 159 إلى الصفحة 178.**

(1)- فرج، حسام أحمد. نظرية علم النص.رؤية منهجية في بناء النص النثري. ص82.

3-شيوع الإحالات الإشارية في القصص بشكل خاص يعود إلى احتواء القصص على العنصر الحكائي، ووجود العنصر الحكائي يقود إلى كثرة الجمل الفعلية، ومن ثم فقد كثرت الإحالة الإشارية عما يحكى عنه، وعمن يسند إليه القيام بهذه الأفعال.

4-أكثر الإحالات الإشارية تواتراً في القصص،كانت في قصص البخلاء الحكماء الواعظين وهي (قصة أسد بن جاني، قصة أبي سعيد المدائني، قصة تمام بن جعفر) وقصص البخلاء النفسية وهي (قصة الحزامي، وقصة أبي جعفر الطرسوسي،وقصة الكندي) فقد بلغ تواترها في كلا الصنفين 112 إحالة إشارية، وكذلك تقارب الصنفين في توزع عناصر الإشارة في نسيجهما الداخلي؛ وهذا يعود إلى حاجة هذه القصص دون سواها إلى الإقناع وإقامة الحجة والبرهان على السامع، والتأثير فيه من خلال الوعظ والاستشهاد بنماذج من البخلاء.

5-عملت الإحالات الإشارية القبلية والبعدية التي برزت على مستوى سطح النصوص على اختزال النص واختصاره، من خلال تجنّب تكرار المشار إليه .

6-كان تواتر الإحالة الإشارية الظرفية نادراً في القصص والنوادر والرسائل، فقد وردت (هنا) 8 مرات، في حين وردت (هناك) 4 مرات، و(ثمّ) مرة واحدة. وجاءت الإشارة الظرفية (هنا) لتشير إلى الأمكنة القريبة، لما لها من دور في استحضار القصة وتمثّلها في ذهن السامع.

لمّا كانت نصوص الكتاب محصورةً بالبخل والبخلاء رأينا الإحالة تنساب بين ثنايا جمل الجاحظ وفقراته ونصوصه بكثرةٍ بالغة نظراً لتناولها قصصاً وحكايا عن البخلاء تكثر فيها الجمل الفعلية التي تكثر فيها الإحالة الإشارية عمّا يحكى عنه، فقد بلغت الإحالة الإشارية في القصص 550 إحالة إشارية،وهذا أسهم بدور فاعل في تماسك النصوص وترابطها،فالإحالة الإشارية تعدّ من أهم العلاقات التي تربط العناصر اللغوية بعضها ببعض،وتعمل على تماسكها،وهذا ما أوضحته من خلال التحليل التطبيقي للإحالة الإشارية الداخلية بنوعيها القبليّة والبعديّة.

والربط الإحالي يعدّ من الوسائل المهمّة في تحقيق التسلسل والتتابع الخطي للجمل على المستوى التركيبي،فالإحالة الإشارية عودٌ على بدءٍ وربط للآخر بالأول،واسم الإشارة يحمل قيمة إحالية لأنّه يختصر كلاماً كثيراً، ويحيل على جزء من النّص، أو على جملٍ أو على كلامٍ كثيرٍ،وفي الإحالة لا بدّ من التطابق في الخصائص الدلاليّة بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي، وقد أدّى السياق الخارجي دوراً حاسماً في تفسير الإحالة الخارجيّة،فجاءت لغة الجاحظ قويّة الترابط والتعالق من خلال توظيفه للإحالة الإشاريّة توظيفاً واسعاً.

المراجع:

1- إبراهيم الفقي، صبحي. علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق. دراسة تطبيقية على السور المكيّة. ط1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م.

2- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله. شرح ابن عقيل على ألفية الإمام أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك. ط1، مطبعة السعادة، 1964م.

3- ابن يعيش،موفق الدين يعيش بن علي. شرح المفضّل. د.ط، إدارة المطبعة المنيرية، د.ت.

4- بحيري، سعيد حسن. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة. ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م.

5- براون،جوليان؛ يول، جورج. تحليل الخطاب. ترجمة: د. محمد لطفي الزليطي–د. منير التريكي. د.ط، جامعة الملك سعود، 1997م.

6- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء. قدم له وحققه: الشيخ محمد سويد–راجعه مصطفى قصّاص. د.ط، دار إحياء العلوم، بيروت، د.ت.

7- حمو الحاج، ذهبية. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب. د.ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.

8- خطابي، محمد. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،1991.

9- دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء. ترجمة: د. تمام حسن. ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.

10- الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر. المفصّل في علم العربية وبذيله كتاب المفضّل في شرح أبيات المفصّل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النصاني الحلبي، ط2، دار الجيل، د.ت.

11- الزّناد، الأزهر. نسيج النص. بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً. ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،1993م.

12- فرج، حسام أحمد. نظرية علم النص. رؤية منهجية في بناء النص النثري. تقديم الأستاذ الدكتور: سليمان العطار والأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي. ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م.

13- المرادي، الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: د. فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل. ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.